دور الأنثروبولوجيا التطبيقية في تنمية المجتمعات المحلية

كلمات مفتاحية: الأنثروبولوجيا التطبيقية ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، المجتمع البدائي ، ريموند فرث الكرسي الذهبي

م.د. صالح شبيب محمد

كلية الآداب – جامعة الانبار- قسم الاجتماع

ملخص العربية:

إن الانثروبولوجيا هي علم شمولي ويمتلك منظوراً شمولياً للثقافة البشرية كلها ومن ناحية أُخرى فإن شموليته هذه تأتي من كونه عندما يدرس المجتمع فإنه يدرسه ككل متكامل من دون الاقتصار على نظام واحد ودراسته للثقافة أيضاً هي دراسة كليـــة وقد جاءت الانثروبولوجيا التطبيقية لتعبر عن هذا الموقف الشمولي فهي ذلك الفرع من الانثروبولوجيا الذي يستفيد من فروع الانثروبولوجيا الاخرى للعمل على حـــل مشاكل الشعوب والعمل على تقدمها ومن ناحية أُخرى فإنه حيثما يدرس أي معضلة اجتماعية فإنه يتناولها من جوانبها كافة ويكمل ارتباطاتها بالبناء الاجتماعي.

The role of applied anthropology in development of communities

Salih Shabib Mohammad

Al- Anbar university-college of arts- department of sociology

Keywords: Applied Anthropology, Social Anthropology Primitive society, R. Firth , Golden Stool.

Abstract:

Anthropology's four subfields are cultural, archaeological, biological, and linguistic anthropology culture is a key aspect of human adaptability and success cultures are traditions and customs, transmitted through learning. That guide the beliefs and behavior of the people exposed to them cultural forces constantly mold and shape human biology and behavior. Cultural anthropology examines cultural diversity of the present and recent past.

المقدمة :-

إن الانثروبولوجيا Anthropology هي علم شمولي Universal ويمتلك منظوراً شمولياً للثقافة البشرية كلها ومن ناحية أخرى فإن شموليته هذه تأتي من كونه عندما يدرس المجتمع فأنه يدرسه ككل متكامل دون – الاقتصار على نظام واحد ودراسته للثقافة أيضاً هي دراسة كلية Holistic وقد جاءت الانثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology لتعبر عن هذا الموقف الشمولي فهي ذلك الفرع من الانثروبولوجيا الذي يستفيد من فروع الانثروبولوجيا الأخرى للعمل على حل مشاكل الشعوب والعمل على تقدمها، ومن ناحية أخرى فأنه حيثما يدرس أي معضلة اجتماعية فأنه يتناولها من كافة جوانبها وبكل ارتباطاتها بالبناء الاجتماعي Social Structure .

لقد أثبتت الانثروبولوجيا التطبيقية خلال التاريخ أنها تستطيع أن تفهم وبعمق وشمول طبيعة أية قضية ولذلك فأنها برهنت على أنها تستطيع أن تكون أداة – جديرة في خدمة مشاريع التنمية الوطنية معتمدة على أسلوبها الشامل في البحث Extensive والمعمق Intensive ويفهمها للمجتمع بناء وتقاليدا وقيما واهتمامها بالعوامل الاجتماعية والثقافية التي تكمن وراء النشاط الاجتماعي بكافة أوجهة ولقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة أقسام وهي :

١-القسم الأول : ويتناول ماهية الانثروبولوجيا التطبيقية وقد جاء بعنوان (ماهي الانثروبولوجيا التطبيقية).

٢-القسم الثاني : التطورات التاريخية لنشوء ونمو الانثروبولوجيا التطبيقية.

٣-القسم الثالث : المرحلة المعاصرة .

٤-القسم الرابع : المنظور الانثروبولوجي للتنمية والمساهمات الانثروبولوجية في هذا الميدان.

القسم الأول : ماهي الانثروبولوجيا التطبيقية :-

إن الأنثروبولوجيا Anthropology (والتي تكون الانثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology أحد فروعها) هي ذلك العلم الشمولي الذي يتصدى

الشعوب والثقافيات المختلفة مركزاً على ابنيتها الاجتماعية وخصوصية ثقافاتها وعلى أساس التحديد العلمي للانثربولوجي بأنه ((ذلك العلم الذي يدرس الإنسان طبيعياً واجتماعياً كفرد وكجزء في المجتمع ويدرس انتاجه وسلوكه))، فإن الانثروبولوجيا قد انقسمت إلى أربعة فروع وهي :

١-الأنثروبولوجيا الطبيعية Physical anthropology والتي تقوم بدراسة ظهور الإنسان على الأرض وتطور سلالاته القديمة، وعناصره الحديثة وهجراته القديمة وتفاعله مع البيئة.

٢-الانثروبولوجيا الاجتماعية Sociel Anthropology وتهتم بدراسة العلاقات والنظم الاجتماعية وكيفية عملها.

٣-الانثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology وهي تركز على الانتاج الثقافي للإنسان ماديا ومعنويا .

٤-الانثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology وهي ذلك الفرع الذي يستفيد مما تقدم الفروع الأخرى لمعالجة مشاكل الشعوب والعمل على تقدمها.

لقد كان أول من استعمل مصطلح انثروبولوجيا تطبيقية هو رادكلف بروان[١] Radcliffe-Brown ويعرفها قاموس ونك للانثروبولوجيا بأنها : تطبيق المعلومات الانثروبولوجيا للإيفاء بحاجات المجتمع الذي يدرسه الانثروبولوجست، وربما يتضمن تطبيق هذه المعلومات تقديم النصيحة للإداريين أو المساهمة في الإدارة أو وضع التعليمات، وقد أشار قاموس مكملان للانثروبولوجيا التطبيقية بأنها ((ذلك الفرع من الانثروبولوجيا الذي يؤكد على الحاجة إلى التغير والرغبة في التنمية.

وقد عرفها كلايد كلوكهون بأنها ((الطريقة الانثروبولوجية التي تستند على انتقاء معلومات علمية من كل من الانثروبولوجيا الطبيعية والانثروبولوجية الحضارية، واستعمالها لعلاج مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية معاصرة[٢].

وقد عرفها الدكتور شاكر مصطفى سليم في (قاموس الانثروبولوجيا)) بأنها فرع من الانثروبولوجي يقوم على تطبيق المعلومات الانثروبولوجية في الشؤون العامة للمجتمعات ويتم هذا التطبيق من قبل شخص متخصص في الانثروبولوجيا

على جماعات أو شعوب بدائية، بصورة مباشرة أو من خلال الرؤساء والهيئات الحاكمة في تلك الجماعات ويشمل التطبيق السيطرة على التغير الاجتماعي وتقديم النصح لتحسين الأحوال المعاشية والمشاركة في الإدارة[٣]. أما الموضوعات التي تعالجها الانثروبولوجيا التطبيقية فهي :

أ- الدراسة الميدانية وأهدافها.

ب- مشاكل الحكم والإدارة في المجتمعات المحلية.

ج-مشاكل التغير الحضاري والإصلاح الاجتماعي[٤].

وفي تأكيده على أهمية الانثروبولوجيا ودورها في حياة الشعوب فأن رادكلف بروان (الذي هو أحد الأساطين الثلاث رواد الانثروبولوجيا البنائية – الوظيفية Structural Functional Anthropology وهم رادكلف بروان ومالينوفسكي وايفنس بريجارد) يقول أن نستطيع مع التقدم السريع للعلم الخالص Pure Science ذاته أن ننظر إلى الأمام، إلى زمن تكون فيه الحكومات وثقافة السكان الأصليين في مختلف أنحاء العالم قادرة على تكوين نوع من الفن (يقصد دراسة مشاكل المجتمعات ومعالجتها) يرتكز على تطبيق قوانين العالم الانثروبولوجي المتكشفة Dicovered Lows of Anthropology Science أما ايفنس بريجاد فهو يشير إلى ما يراه البعض من إمكانية تطبيق الانثروبولوجي على الحياة الاجتماعية ومعاجلة مشاكلها والعمل على تقدمها وهو يقول في هذا الصدد ((لقد تكلم البعض عن الانثروبولوجيا كما هم يتكلمون عن الطب التطبيقي والهندسة التطبيقية فالذين تكلموا على هذه المشكلة هم الذين اعتبروا الانثروبولوجيا الاجتماعية علما طبيعيا (اشبه بالعلوم الطبيعية الباحث يهدف إلى وضع قوانين عن الحياة الاجتماعية (اكتشاف وتثبيت وتحديد القوانين التي تعمل بها النظم الاجتماعية، وطالما أن أي علم يستطيع أن يضع له تعميقات فإنه أيضاً يكون من الممكن وضع هذا العلم في التطبيق[٥].

أن عنصر التكرارية الاجتماعية Normative Elemom (تكرار الظواهر الاجتماعية كما تكرر الظواهر الطبيعية) بالنسبة للانثروبولوجيا يشابه مفاهيم

القوانين الطبيعية وقوانين التقدم والتي اشتقت منها الانثروبولوجيا جزءا من تراثها الفلسفي، وإذا تفحصنا آراء ايفنس بريجارد لوجدنا أنه (لا يميل إلى فكرة قوانين Laws بقدر ما يميل إلى فكرة تعميميات Generali Zetion أو قواعد أما ريموند فرث Raymond Firth فهو أكثر قربا من أصحاب الاتجاه الطبيعي – والقوانين، وانطلاقا من ذلك فأننا نراه يؤمن بتطبيق الانثروبولوجيا علميا وعمليا كما نراه متفائلا بقدرتها على تحسين أحوال المجتمع ولذا فأنه يرى أن الانثروبولوجيا تشبه أي علم أخر حيث أن لها أيضاً تطبيقاتها، وبالضبط مثلما يمكن أن نستخدم جهود مختص بالفلك لتحسين الملاحة البحرية أو جهود الفيزيائي في الهندسة والاتصالات اللاسلكية والكيمياوي في مجال الطب والصيدلة فكذلك فان عمل الانثروبولوجست وجهوده واختصاصه يمكن ان تكون ذات فائدة في تحسين وتطوير الشؤون الإنسانية ومعالجة الصعوبات والمشاكل التي تحدث في العلاقات الاجتماعية[٦].

أما الأستاذة لوسي مير Lucy Mair (درست لوسي مير في جامعة كمبردج وقد اصبحت استاذة الانثروبولوجيا التطبيقية في جامعة لندن ثم سكرتيرة (المعهد الملكي البريطاني الانثروبولوجي وقد ألفت كتبا عديدة في مجالات التغير الاجتماعي والانثروبولوجيا التطبيقية والحكومة في المجتمع البدائي Primitive Goverment فهي تشعر بأهمية الانثروبولوجيا التطبيقية في مجال التغيير ولتوضيح دور الانثروبولوجيا التطبيقية في تصحيح أساليب الإدارة والحكم فهي ترى أن التغير الاجتماعي والانثروبولوجيا التطبيقية هما وجهان لقطعة نقد واحد، وهي تشير أن التغيير أو ما يسمى بالاتصال الثقافي عند اتباع المدرسة الثقافية واتباع المدرسة الانثروبولوجية التطبيقية هي شيء واحد.

ولقد اهتم الانثروبولوجيون بهذا الموضوع على اعتبار أن التغير الاجتماعي وقضاياه هي موضوع يحتاج إلى حل ولقد انصب اهتمام الانثروبولوجيا على تغيرات اجتماعية معينة وفي أماكن معينة لأنها كانت قضاياتهم أناسا كانوا يعملون هناك وكان احد موضوعات اهتمامهم هي حالة تلك الشعوب التي تعرضت لحكم الاستعمار وكان هؤلاء منطلقين مما جاء في ميثاق عصبة الأمم على أن مصير

الشعوب التي لا تستطيع الوقوف على أقدامها وتطورها هو أمانة مقدسة ف عنق المدنية.

القسم الثاني : التطورات التاريخية لنشوء ونمو الانثروبولوجيا التطبيقية :-

أولاً : العلم في حد ذاته، وطريقة استخدام العلم :-

لابد لنا في البداية من الإشارة (وهي إشارة ضرورية) إلى أن من ضرورات الموضوعية والحق أن نميز ما بين العلم في حد ذاته Assuch وما بين أهداف أو طريقة استخدامه فالعلم يمكن استخدامه استخداما خيرا أو شريرا ولكنه ((سيبقى دائما بريئا من طريقة استخدامه)) إذ أن العلوم لا تعي الخير والشر وهي ليس لها عقل أو ضمير وهي لا تعرف الخسة أو النبل ولكن المظهر الذي تظهر به يعتمد على أسلوب استخدامها والأغراض التي يستخدم من اجلها سوءاً كانت خيرة أم شريرة، أما هي فستبقى بريئة .. أن علم الفيزياء او الكيمياء أو الجغرافية أو علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الانثروبولوجي كلها نزيهة ولكن من الممكن استخدامها استخداما ضارا بالبشرية كالفيزياء والكيمياء اللتين استخدمتا بشكل مشترك لصنع القنبلة الذرية وتفجرها فوق اليابان ولكن الذرة قد تم استخدامها لخدمة الإنسانية في معالجة السرطان وكذلك فأن المجتمعات المتقدمة التي تستخدم الافران الذرية قد استطاعت أن تنتج الطاقة التي يستفيد منها الناس وكذلك فأن الفيزياء قد افادتنا في توليد الكهرباء والاضاءة والتبريد والتدفئة، والفيزياء والكيمياء قد افادتنا في تشغيل محركات السيارات والطائرات والمصانع وان كانت الفيزياء والكيمياء قد مكنتا الإنسان من صنع الطائرات والسيارات والدبابات والصواريخ التي استخدمت في قتل الأبرياء من البشر في الحروب المختلفة التي شنت لأغراض عدوانية استعمارية ولكن الكيمياء افادتنا في صنع الأدوية والمعمقات والمضادات ومواد التخدير التي تستعمل في العمليات الجراحية.

فكذلك العلوم الاجتماعية والنفسية يمكن ان تستخدم للشر أو الخير فقد استخدم علم النفس لغسل ادمغة الأسرى واستخدم في الحرب النفسية لتدمير – معنويات الشعوب والجنود خلال الحروب كما أن علم النفس وعلم الاجتماع يستخدمان حاليا

في الدول المتقدمة للتأثير على الجماهير وتوجيهها الوجهة التي يريدها الحاكمون والطبقات المتنفذة وذلك من خلال التأثير في الرأي العام والمواقف والميول بواسطة الإعلام والخطابات، وبنفس الوقت فأن علم النفس وعلم الاجتماع يستخدمان لدراسة طبيعة الإنسان والمجتمع والتصدي للأمراض النفسية والعقلية ومعالجة المشاكل الاجتماعية، وكذلك فأن الانثروبولوجي هو علم اجتماعي غرضه الأساسي فهم طبيعة النظم الاجتماعية وقوانين أو قواعد عملها وفهم الثقافات المختلفة بهدف فهم طبيعة عمل النظام الاجتماعي ومن ثم العمل على وضع هذه المعرفة في خدمة الاغراض الإنسانية، ولكن الإدارات المحلية التي كانت تابعة للاستعمار والتي استغلت كافة العلوم فأنها أرادت أن تفهم طبيعة الشعوب من خلال عمل الانثروبولوجي ولكن الواضح أن الانثروبولوجيين قد أفادوا الشعوب قبل الإدارة بالدرجة الأولى فقد كانوا ينصحون الإدارات بعدم اللجوء إلى الأساليب الإدارية العمياء القائمة على إصدار الأوامر غير الواعية وغير المسؤولية، والقائمة على تنفيذ أوامرها بأساليب القوة والتعسف والوحشية وكانوا ينصحونهم بالتفهم واحترام ثقافة الشعوب وتقاليدها وقيمها وكرامتها، وفي الواقع فأن الحكومات الاستعمارية الظالمة كانت في أيديها القوة وكانت تستطيع استخدام البطش وأن تستمر في الحكم بهذه الطريقة حتى في حالة عدم وجود علم للإنثروبولوجي وفي حالة عدم وجود الانثروبولوجيين ولكن وجود الانثروبولوجيا كان عاملا في توجيه الإدارات وجهه أقرب إلى الإنسانية.

وبعد فترة طويلة من الزمن وبعد نضوج الانثروبولوجيا شعرت المجتمعات في الكثير من أنحاء العالم بفائدتها ولذلك فقد أخذت الدول الأوربية نفسها تستخدم، الانثروبولوجيا التطبيقية لخدمة أوطانها لأغراض اجتماعية وتنمويه كما هو الأمر في فرنسا وكندا وانكلترة وكذلك في دول أسيوية متقدمة كاليابان وكذلك في دول أمريكا اللاتينية(٧). وكذلك فقد استخدمتها دول متحررة أسيوية كالهند والباكستان لخدمة أوطانها وكذلك الأمر بالنسبة للأوطان العربية فقد لجأت إلى استخدام الانثروبولوجيا التطبيقية كما هو الأمر في مصر والسودان وغيرها للاستفادة من

قدرات هذا العلم في العطاء وخدمة المشاريع الوطنية ومعالجة المشاكل الاجتماعية والاسهام في العمليات التنموية ولكن بالرغم من هذه الحقائق فأنه لا يزال بعض الأميين من المدعين بالعلم يأخذون على الانثروبولوجيا استخدامها من قبل الإدارات المحلية كما استخدم علم النفس وعلم الاجتماع، وكما يستخدم علم النفس وعلم الاجتماع لاغراض غير إنسانية احيانا وتلك تجربة ليس للانثروبولوجيا ذنب فيها.

ثانياً : نماذج من الأساليب الانثروبولوجية المبكرة :-

أننا سنعطي بعض الأمثلة التي تمثل اسهامات الانثروبولوجيا التطبيقية (ليس مدحا أو تبريرا) لما قدمته وأنما لإيضاح مدى قدرتها أيضاً في فهم النظم الاجتماعية وطبيعة عملها، وقدرتها أيضاً في كيفية مساعدة الإداريين في توجيه أساليبهم وجهه متفهمة مما ساعد على انتقاء سياسات أكثر قدرة وأكثر فائدة ولذا فقد أفادت هذه التجربة التاريخية في حقل الانثروبولوجيا فجعلتها أكثر نضجا وأكثر رشدا، فاصبحت عونا للأمم في فهم طبيعة عمل الأنظمة الاجتماعية في أوطانها، وفهم مصادر المشاكل والمعوقات والعمل على تذليلها، وأصبحت الانثروبولوجيا التطبيقية الآن عونا لأيه أمه تريد الاستفادة منها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتنموية.

أولاً : حادثة الكرسي الذهبي Golden Stool :-

إن الكرسي الذهبي يمثل عرشا روحيا مقدسا بالنسبة لشعب الاشانتي Ashanti أحد شعوب أفريقيا أن هذا العرض يمثل (عرشا معنويا وليس ماديا)، فرئيس الأشانتي لا يجلس عليه، ولكن الحاكم البريطاني أراد أن يستحوذ عليه لكي يجلس عليه معتقدا أنه إذا جلس عليه فسوف يمتلك السلطة الحقيقية وأن الاشانتي سيخضعون له على اعتبار أنه امتلك عرش السلطة في الاشانتي، وفي الحقيقة أن الزعيم الاشانتي كرسيه الخاص الذي يجلس عليه وهو عرشه الدنيوي ولكن الكرسي الذهبي لم يحدث أن جلس عليه أحد وحتى ملك الأشانتي نفسه، وحينما يتضرع الملك إليه (إلى الكرسي الذهبي) طالبا منه أطلاق قواه لمساعدته أو مساعدة قومه فأنه يتظاهر بالجلوس عليه ثم يذب ليجلس على كرسيه الخاص (عرشه) واضعا

ذراعه على الكرسي الذهبي، أن الاشانتي عادة لا يضعون الكرسي الذهبي مباشرة على الأرض إذ ليس من المسموح به أن يلامس هذا الكرسي الأرض ولذا فهو يوضع فوق جلد الفيل ويغطى بقماش خاص، أن أحد الحكام – والحقيقة بسبب جعله – أعاد مفاتحة رؤساء الاشانتي لأعطائه الكرسي الذهبي ليجلس عليه باعتباره ممثلا للملكة فيكتوريا، أن الحرب التي وقعت أثر ذلك تعود إلى غضب الاشانتي وزعيمهم الروحي وثورتهم ضد اجبارهم على التخلي عن أكثر البقايا قدسية إلا وهو الكرسي الذهبي الذي هو المستودع الخاص الذي يضم ((روح شعب الاشانتي)) لقد عمد الاشانتي على أخفاء الكرسي الذهبي في كان ما في الأرض ولكن حدث أثناء قيام العمال بأعمال الحفريات أن عثر احدهم على الكرسي الذهبي وقد قام البعض باقناع الشخص الذي وجده أن يخلع الذهب عنه ويبيعه (الذهب) وعند ذلك ثارت ثائرة الاشانتي وطالبوا بحياة الذين اساؤا إلى الكرسي الذهبي وكادت أن تتحرك صادامات حادة لولا أن الانثروبولوجست Rattray قد أوضح للحكومة والإدارة المحلية ماذا يعني الكرسي لشعب الاشانتي فهو يعني روح الشعب ويمثل الإلهة وهو ليس كرسي للحكم أو السياسة ونصح الحكومة بأن تترك للاشانتي إجراء التحقيق والمحاكمة بحق المسيئين وقد أعلنت الحكومة على أثر ذلك أن لا حاجة بعد الآن – للأشانتي لأن يخفوا الكرسي ثانية لأن الحكومة سوف لن تطالبهم به بعد الآن[٨].

أن هذا المثال يكشف لنا ما هو الفرق بين سوء الفهم الإداري (بسبب عدم امتلاك الإداريين لتخصص الانثروبولوجي) وقدرة الفهم الانثروبولوجي التي تمكن من حل المشكلات في المجتمعات المختلفة ومساعدة الإداريين في تسيير أمورهم بالعقل والمنطق سوءا كانت هذه الإدارة وطنية أم أجنبية.

ثانياً : الماشية كصداق :-

إن من عادات الشعوب الأفريقية أنهم يقدمون ماشية لأهل الفتاة وأقاربها عندما يتقدمون لخطوبتها ولكن رجال البعثات التبشرية اعتبروا ذلك عبارة عن شراء للزوجة واعتبروه أمرا محرما على الذين دخلوا الدين المسيحي من الافريقيين واصدرت السلطات البريطانية امرأ قانونياً يقضي بتحريم هذه الممارسة، ولكن

البحوث الانثروبولوجية أكدت أن تقديم الماشية لا يمثل شراء للزوجة وأنما هو يمثل (صداقا) وان الغاء هذه الممارسة في افريقية ليس فقط بضعف رابطة الزواج والرابطة ما بين عائلتي الزوجين وأنما يؤدي إلى الحط من قيمة المرأة التي كان القصد من تقديم الماشية هو حمايتها وهكذا فمن خلال التحليل البنيوي – الوظيفي Runctional Structural Analusis استطاع الانثروبولوجيون تفهم طبيعة الموضوع.

٣- تناول طين ضفاف الأنهار :-

لقد وجدت الإدارة الأجنبية أن الناس في بعض مناطق أفريقيا يتناولون الطين المتيس على ضفاف الأنهار وقد اعتبرت السلطات أن هذا الأمر هو ممارسة مرعبة غير صحيحة وكانت تمنع الأهالي بشدة من تناول الطين ولكن الانثروبولوجين الذين لهم المعرفة في الانثروبولوجيا الطبيعية Physical Anthropology التي تهتم بتفاعل الإنسان مع البيئة وتكيفه لها اوضحوا السلطات بأن الغذاء الموجود في المنطقة لا يحتوي على الاملاح ولما كان الجو يؤدي إلى التعرق الجسم يحتاج إلى تعويض المصلح الذي يخرج مع العرق لذا فأن الناس قد وجدوا بالتجربة التاريخية أن طين ضفاف الأنهار عند تذوقه يعطي طعما مالحا وهو ما تحتاجه اجسامهم لهذا فأن كل فرد يتناول شيئاً منه من وقت لآخر.

وهكذا نجد أن الانثروبولوجيين قد غلبوا الجانب الإنساني ووجهوا النصائح إلى الإداريين بأن يتفهموا طبيعة حياة المجتمع وضرورات وجوده وقيمة ومقدساته وان يستخدموا الفهم بدل القوة والقسوة وفي هذا الخصوص نجد أن جونود Junod قد قال :

((أننا إذا عملنا من أجل العلم فأن ذلك أمر نبيل ولكننا إذا ساعدنا أخواننا في الإنسانية فأن ذلك انبل)) [٩].

وأننا لا يمكن ننسى نصيحة مالينوفسكي Molinowiski أحد أقطاب الانثروبولوجيا وروادها الأوائل (القطبين الأخرين هما رادكلف بروان وايفنس

بريجاد) حيث أنه وجه نصيحة إلى الرجال المقابضين على السلطة بأن يمتنعوا عن التدخل بقدر ما يستطيعون في شؤون الشعوب التي يحكمونها (الشعوب المستعمرة) وكان مستعدا لأن يقدم تبريرا ضد أية ممارسة إدارية مرفوضة باعتبارها ((بغيضة من وجهة نظر الإنسانية)).

إن التطبيق العملي للانثروبولوجيا في الفترة الواقعة ما بين الحربين كان مقتصرا إلى حد كبير في توضيح عادات الشعوب للإداريين، ولكن بعض الانثروبولوجين كانوا في الثلاثينات من هذا القرن يشعرون بأنهم سيعتبرون أنفسهم غير جديرين بالمهام الموكلة اليهم ما لم يقدموا حلول للمشاكل التي يحس بها الإداريون.

وفي نهاية الثلاثينيات من هذا القرن الماضي بدأ تلامذة مالينوفكسي يقترحون وجوب استشارة الانثروبولوجيين حين تدرس مشاكل ذات خطورة وكانت القرارات – السياسية هي المشاكل المعنية .. وقد شكل المعهد الملكي الانثروبولوجي البريطاني لجنة للانثروبولوجيا التطبيقية وقد اعتقد بعض أعضاء اللجنة بأن عليهم أن يقوموا بحركة لتجنب الحرب مع ألمانيا وذلك عن طريق أعادة مستعمراتها القديمة اليها وكانوا متشوقين إلى الانضمام إلى المؤتمر الذي كان سينعقد لهذا الغرض وخلال الحرب وبعدها قدم الانثروبولوجيون مقترحات عملية إذ أن فيلب ماير (Philip Mayer) اقترح أن التوسع في العمل الزراعي في كينيا يجب تحقيقه عن طريق أسلوب العمل الجمعي الشعبي[١٠]. (وليس عن الطريق الفردي كعمال متفردين يعملون تحت سيطرة الاقطاعي).

كما قام ناديل استاذ الانثروبولوجيا في جامعة لندن ومؤلف كتاب Foundation o0f Socual Anthropology بدراسة مفصلة لموضوع التصرف بالأراضي في الهضبة الارتيرية فخرجت دراسته بعدد من الملاحظات التي يمكن أن تقلل من الظلم والاصطدام[١١]، أن بعض الدراسات التي أجريت في مجال مشاريع اصلاح الأراضي وعلى مشاريع أخرى للتنمية لم تقدر حق قدرها إلا بعد فوات الأوان وبعد أن قبرت ونسيت، وكان أمر تنفيذها في المواقع يحمل اشارات تحذير

لمخططي المستقبل، ولقد اختتم ايفنس بريجارد كتابة الموسوم الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology بالعبارة التالية :

((ولكي أضع خلاصة لكل ما جاء في كتابي هذا فأنني اعتقد ان الانثروبولوجيا الاجتماعية تساعدنا على أن نفهم بشكل أفضل ذلك الكائن العجيب الذي هو الإنسان عندما نلتقي به في أي زمان أو مكان)) (١٢).

ثالثاً : المرحلة المعاصرة :-

بعد ان أقرت المجتمعات في الدول الكبرى المتقدمة بفائدة الانثروبولوجيا التطبيقية بما تملكه من قدرات في فهم طبيعة عمل النظم الاجتماعية وفي قدرتها على لاستهام في التخطيط والتنمية ومعالجة المشاكل الاجتماعية لجأت هذه المجتمعات كما أشرنا سابقا إلى الاستفادة من الانثروبولوجيا التطبيقية كما هو الأمر في انكلترة وفرنسا وكندا واليابان ودول أسيوية كثيرة ومنها الدول العربية.

لابد من توضيح أن الانثروبولوجيا التطبيقية تقوم في جانب أساسي منها على الدراسة الميدانية التي كان رائدها الأول مالينوفسكي والذي وضع أسسها في كتابة المشهور الموسوم ((بحارة الحميط الهادي الغربي، ثم أضحها بشكل أدق في كتابة الذي صدر بعد ذلك بعنوان ((الحدائق المرجانية وسحرها))، ولقد أصدر المعهد الملكي البريطاني للانثروبولوجيا كتابا يعد قاموسا ومرجعا أساسيا لأساليب الدراسة الميدانية وللمفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية عن البناء الاجتماعي ومكوناته وأساليب الحياة الاقتصادية والسياسية والقرابية والدينية.

وفي الوقت الذي أخذ فيه الانثروبولوجست يلاحظ التغيرات الحاصلة في المجتمعات البدائية فأنه بدأ يكتشف أن في إمكانية أساليبه التي يستعملها في البحث في المجتمعات البدائية ان تساعد على دراسة مجتمعات هي أكثر تطورا ولذلك بدأت دراسات مختلفة لسكان ايرلندا وويلز في بريطانيا وسكان الملايو والهند والجماعات الفلاحية في الصين.

ولقد جرت دراسات انثروبولوجية تطبيقية على مدن في الولايات المتحدة ومنها دراسة لندوهيلين لند للمدينة التي أطلقا عليها مدلتاون Middletown في

اواسط الولايات المتحدة في ولاية أنديا حيث انهما درسا الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان، وكان عنوان الكتاب الذي نشراه حول الدراسة هو ((مدلتاون، دراسة في الحضارة الأمريكية) وكذلك فقد جرت دراسات في مدن أمريكية ومنها دراسة العالم الانثروبولوجي لمدينتي يانكي ستي Yankee City وجونزفيل JonesVille وتقع يانكي ستي في نيوانجلد في الولايات المتحدة وتقع جونزفيل في تون براري وكانت هدف ورنر هو دراسة الوضع الطبقي[١٣]. وتطورت الدراسات لتناول أشهر المحلات الكبرى في المدن الأوربية مثل محلات سيلفرج – التجارية الكبرى في مدينة لندن وكذلك الدراسة المشهورة في جامعة هارفرد التي أشرف عليها البروفسور ايلتون مايو Elton Mayo حيث تمت دراسة المشكلات التي تتعلق بمشكلات حضرية.

الأوطان العربية :-

أما إذا جئنا إلى الأوطان العربية فسترى أنها قد لجأت إلى الانثروبولوجيا التطبيقية لتستفيد منها في خدمة مشاريعها الوطنية فقد ظهرت مثلا عند تهجير النوين إلى النوبة الجديدة يمركز نصر في محافظة اسوان مشاكل ايكولوجية ومشاكل الخدمات وقضية توزيع المهجرين على المزارع بما يتضارب وطبيعة التنظيم القبلي فظهر تيار يطالب بالعودة إلى الأراضي القديمة، وقد اضطر القائمون على مشروع التخطيط الاقليمي لمحافظة اسوان ان يعهدوا إلى قسم الانثروبولوجيا في كلية الاداب – جامعة الاسكندرية القيام بدراسة انثربولوجية لتشخيص اسباب المشاكل وسبل المعالة وقد توصل الانثربولوجيون إلى أسباب المشاكل وقدموا مقترحاتهم بشأن معالجتها وكانت معالجتهم ناجحة[١٤].

وقد قام الدكتور أحمد أبو زيد وبتكليف من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بدراسة ((الثار في قرية بني سمع)) أحدى قرى الصعيد[١٥]، ولذلك فقد تمت دراسة مشروع الزاندي جنوب السودان ومعرفة اسباب العراقيل التي وقفت أمام التنمية الزراعية فدعت حكومة السودان أحد الانثربولوجيين لدراسة الاشكالات وتقديم التوصيات[١٦]، وهكذا الأمر بالنسبة لدول عربية عديدة حيث اسهتم

الانثربولوجية التطبيقية بما لديها من قدرات في خدمة المشاريع الوطنية التنموية وبشكل ناجح ويستحق الاعجاب.

قسم الرابع : المنظور الانثربولوجي للتنمية والمساهمات الانثربولوجية في هذا الميدان :-

إن الانثروبولوجيست يعرف طبيعة مجتمعه بما في ذلك التركيب البنائي ونوعية القيم وطبيعة النظم الاجتماعية وديناميه السلوك الاجتماعي والعوامل المحركة للسلوك والتي تحدد المواقف وطبيعة الشخصية الثقافية وتوجهاتها وردود أفعالها وما تقبله وما ترفضه لذا فأنه يستطيع أن يساعدنا في تشخيص الأساليب المناسبة لتنفيذ خطط التنمية الوطنية.

ومن ناحية أخرى فأن الانثربولوجي يتميز بالنظرة الشمولية فهو لا يدرس حالة واحدة أو نظام واحد أو قضية واحدة وأنما يدرس مجمل النظام الذي تدور تلك القضية في فلكه وكذلك فأن الدراسة الانثربولوجية تعتمد الأسلوب الميداني المباشر مما يجعلها موضوعية وعملية وأقرب إلى حقائق الواقع.

ونتيجة لمعرفة الانثربولوجست بواقع مجتمعه وقدرته على ملاحظة الحقائق وتحليلها وبأسلوبه الشمولي ودراسته الميدانية فأنه يستطيع أن يكتشف القوى والعوامل الثقافية والاجتماعية التي تسهل أو تعرقل عمليات التغير والتنمية ومعالجة المشاكل التي تظهر في هذا الميدان.

وفيما يأتي سوف نتناول المحاور الرئيسية للتنمية وطبيعة الانثربولوجي فيها :

أولا : محور التنمية الاقتصادية :-

أن المنظور الانثربولوجي للتنمية هو أن التنمية يجب أن لا تكون مادية واقتصادية فقط وأنما تنمية اجتماعية شاملة، فالباحث الانثروبولوجست يفضل أن يجد امامه مناخا تنمويا قائما على أساس حاجات المجتمع وواقعه المادي أخذا بنظر الاعتبار طبيعة المجتمع وثقافته مما يمكنه أن يكون صلة الموصل ما بين المشروع التنموي ومتطلبات تنفيذه في الواقع الاجتماعي.

إن المفهوم المعاصر للتنمية لطبيعته الخاصة فقد عرف تقرير برنامج الأمم المتحدة الانمائي للتنمية البشرية بأنها ((عملية توسيع خيارات الناس من حيث المبدأ، تلك الخيارات التي تعني الخيارات الأساسية الثلاث على جميع مستويات التنمية وهي:

١-أن يحيى الإنسان حياة طويلة وصحية.

٢-أن يحصل على الموارد اللازمة لمستوى معيشة كريم.

٣-أن يكتسب معرفة أو مهارة.

فهي أذن تنمية الناس من أجل الناس وبواسطة الناس، فالتنمية من أجل الناس تعني ضمنا توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعا واسع النطاق وعادلا وهكذا يمكن القول أن التنمية البشرية تتعلق بالحياة التي يحياها الناس على أن يعيشوا طويلا والوقاية من الاصابة بالامراض، والتعلم، والتحرر من الأمية والجوع والتمتع بالأمان والاستقرار.

أنها التنمية التي تحاك حول الناس وليست التنمية التي يحاك الناس حولها، وهكذا هي نظرة الانثربولوجيا التطبيقية إلى التنمية والتي يجب أن تكون إنسانية بشرية واقتصادية بنفس الوقت وكذلك فان الانثروبولوجية التطبيقية تأخذ بمفهوم التنمية البشرية المستدامة أو المستديمة Sustainable Development، وهو أحدث مفهوم بجمع ما بين حاضر التنمية ومستقبلها، فهو يهتم بالبيئة والسكان والطاقة والتكنولوجيا وجوانب أخرى ليس ضمن وضعها الحاضر فقط وانما ضمن منظور طويل الأجل ويعني ذلك ما يأتي :

١-أننا يجب أن لا نأخذ فقط وأنما يجب أن نعطي أي أننا لا نستغل الموارد الطبيعية ونستنفذها بل أن نحافظ عليها.

٢-تجديد الموارد الطبيعية وتجديد البيئة أو ((توليدها)).

٣-أن نفكر بمصير الجيال القادمة بحيث أن التنمية (المستمرة)) السليمة تحقق لها رصيدا امنا من الموارد البيئية النظيفة.

التنمية الاقتصادية ودور الانثروبولوجست فيها :-

إن التنمية لم تعد أرقاما اقتصادية أو أوراقا مادية تتعلق بزيادة الدخل القومي والدخل الفردي وأنما أصبحت تنمية بشرية وهنا يدخل العنصر البشري الاجتماعي وتدخل الحاجة إلى الانثربولوجيا التطبيقية، أن أهم ما يميز الانثربولوجيا التطبيقية هو السعي للكشف عن الأساليب التقنية والعملية الكفيلة بأعادة تنظيم وتعديل الظواهر الاجتماعية والثقافية التي تظهر بفعل التغير الاجتماعي السريع، ولابد للباحثين التنمويين أخذ العمق التاريخي للظواهر الاجتماعية البارزة في واقعنا الجديد ومن الجدير الاستفادة من حيوية الاتجاه الثقافي في الانثربولوجيا لدراسة مشكلات التنمية وذلك لامكاناتها المتميزة في تحليل الاعراف والقيم الاجتماعية المؤثرةف ي مسيرة التنمية.

أن ما يجعل عمل الانثروبولوجست التطبيقي حيويا جوهريا وناجحا في المجال الاقتصادي هي تلك الامكانات التي تتمثل فيما يأتي :

أولا : أن الانثربولوجست يعرف تلك القيم والتقاليد التي تعوق الأنشطة والتوجهات الاقتصادية التنموية .

ثانيا : أنه نتيجة لاهتمامه المتواصل بطبيعة مجتمعه فهو عالم بطبيعة السياقات العقلية الاجتماعية والثقافية التي قد تستخدم لحفز الناس للتعاون مع الخطط التنموية والقيم الاقتصادية الجديدة.

ثالثاً : أنه يعرف أفضل السبل لتغير مواقف الناس ومرتكزاتهم القيمية.

رابعاً : أنه يعمل من خلال العمل الميداني والاختلاط بالناس ولذا فهو أقرب إلى الواقع من غيره ولذا فهو يستطيع توصيل طبيعة هذا الواقع سلباً ام ايجاباً إل المخططين الذين سوف يهتدون بنصائحه في مجال التخطيط الاقتصادي التنموي.

التنمية الصحية ودور الانثربولوجست فيها :

إن الموارد البشرية هي أحدى ثورات المجتمع الرئيسية وأحدى قواه في الإنتاج والتطوير والدفاع عن تربة الوطن ولذا فأن الاستفادة من هذه الموارد بالشكل

الأمثل الإمكانيات لتحقيقه هذا الهدف وهنا فأن الانثربولوجيا التطبيقية تتم بمفهوم النـــاس عن التعلم والعلم ومدى مساهمتهم مع المؤسسات الرسمية التعليمية في تحقيــق أهــداف التعليم والسبب الاجتماعي لتلكؤ المؤسسات التعليمية والعمل على تبديل مواقــف النـــاس السلبية من التعليم وايضاح واقع المنظور التعليمي ومشاكله وســبل تقويمــه للمســؤولين ووضع الأسس السليمة للتوعية التعليمية بما يتناسب مع الواقع الاجتماعي.

يجب أن يكون هدفا أساسيا في التخطيط التنموي ولكن هؤلاء البشر ســوف لــن نستطيع الاستفادة منهم إذا لم يكونوا متمتعين بالأجسام القوية والعقول النشطة وأن كل هذه الجوانب ترتكز على صحة جيدة مصدرها الغذاء الجيد والبيئة النظيفة والوقاية الصــحية والوعي الصحي والعلاج الجيد أذن لابد لنا أن نهتم بالتنمية الصحية كبعد أساسي للتنمية الشاملة* ولكن هذه التنمية قد تعوقها عوائق، أن هذه العوائق يستطيع الانثربولوجست أن يتعرف عليها بسهولة وينقلها إلى المخططين والحقيقــة أن هنالــك علاقــات المــرض والأوضاع الاجتماعية وكما يلي :

فلقد أجريت عدة دراسات عن العلاقة بين حجم الأسر والمرض وأن مرض السكر هو شديد الاستجابة لعامل الوراثة كما أن العزلة الاجتماعية تقود إلى الأمراض النفسية.

ولقد ناقش جونار ميردال Gunner Mayrdal أثناء دراسته لمشكلات التنمية في جنوب أسيا مكانة الصحة في عملية التنمية، وتنصب أولى وجهات نظــرة علــى فكــرة أساسية وهي أنه لا ينبغي أن نفهم الصحة بمعزل عن العوامل الأخرى المتصلة بعمليــة التنمية، وذلك لأن الصحة تؤثر على العوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة كما تتــأثر هي ذاتها بهذه العوامل.

إن هذا التأثر والتأثير الجدلي القائم ما بين الصحة والمجتمع من ناحية وما بــين الصحة والتنمية من ناحية هو ما يفهمه الانثربولوجست بسبب نظرته البنائية – الوظيفيــة الكلية ولذلك فهو يستطيع النفوذ عن طريق معرفته لمجتمعه وعمله الميــداني واختلاطــه بالناس إلى طبيعة مقومات الصحة أو معوقاتها وأن يحدد للمخطط التنموي أفضل السبل التي يجب أن يسلكها لجعل الصــحة عنصــرا أساســيا فــي تخطيطاتــه كمــا أن الانثروبولوجست يستطيع تقديم النصيحة إلى المختصين عن الأســباب الاجتماعيــة وراء الأمراض في المجتمع وكيفية العمل على مواجهتها.

التنمية التعليمية ودور الانثربولوجيا التطبيقية :-

يعد التعليم المرتكز الثالث للتنمية الشاملة والتنمية البشرية وحسب شروط التنمية أن من حق الإنسان أن يتعلم، فعلينا أن نمهد له السبيل ونوفر له.

المصادر :-

(١) سليم، الدكتور شاكر مصطفى، قاموس الانثربولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١، ص٦٠.

(٢) كلوكهون، كلايد، الإنسان في المرأة، ترجمة الدكتور شاكر مصطفى سليم، بغداد، ١٩٦٢، ص١٨٣ .

(٣) سليم، د. شاكر مصطفى، قاموس الانثربولوجيا، ص٦٠ .

(٤) سليم، د. شاكر مصطفى، المدخل إلى الانثربولوجيا، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥، ص١٠٩.

(5)Brown, Radecliffe, Applied Anthropology Australian and Newzelan Association of Advancement of Science, Section, F., 1930.

(6)Firth, Raymond, Human Types, Thomas, Nelson and Sons, Ltd, London, 1956, P.220.

(7)Pritchard – Evans, Social Anthropology, P.8.

(8)Firth, R. Human Types, PP.202-204.

(9)Junod, H. A., The Life of South African Trupe, 2 Vols, Nuchatel and London, 1912-1913, P.10.

(10)Mayer, Philip, Two Studies in Applied Anthropology in Kenya, 1957, P.216.

(11)Nadel, S. F., Land Tenuer in Eritrean Plateau, Africa, 1964, P.37.

(12)Pritch-Evans, Social Anthropology, P.12.

(13)See : W. L. Warner, The Status System of Modern Community., Yale University Press. Also Se : Warner, Democracy in Jonesville, New York, 1943.

(١٤) محجوب، الدكتور محمد عبدة، مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، التاريخ بلا، ص١٥٣-١٥٤.

(١٥) سيد أحمد، الدكتور غريب حمد، وعبد الباسط محمد عبد المعطي، علم الاجتماع ودراسة الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص٤٣٧ .

(١٦) نفس المصدر، ص٤٣٩ .

* لمزيد من المعلومات حول التداخل ما بين التنمية الصحية والاقتصادية، راجع جليلة عبد اللطيف، دور التطور الصحي في التنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨.